# العِبادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

إخوة الإيمان:

اعلموا أن الله خلقنا لعبادته وطاعته، لنعبده وحده لا شريك له، عبادة نعيشها بقلوبنا وجوارحنا، نعيشها حضرًا وسفرًا، برًّا وبحرًا وجوًّا، أمنًا وسِلمًا، حربًا وخوفًا، بل إن الله تبارك وتعالى جعل العبادة في أوقات الفتن والحروب والشائعات من أعظم العبادات، وأجلّها قدرًا وأجرًا؛ لأن الناس في أوقات الفتن وأوقات الهَرْجِ وأوقات الحرب - ينشغلون عن العبادة بما يدور حولهم، وتأملوا معي هذا الحديث العظيم الذي رواه الصحابي الجليل، رَوى مُسْلِمٌ في صحيحه: عن مَعْقِلِ بنِ يَسارٍ رضي الله عنه: أن رَّسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ، والهَرْجُ هو الاختلاط والقتل والفتن ونحوها،

إخوة الإسلام: موعدنا اليوم إن شاء الله مع هذا الحديث النبوي الشريف، نتعرف على معانيه وما يدعو إليه، وبداية، فلقد أخبرنا نبيُّنا صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى عن وقوع الهَرْج في آخر الزمان، ففي صحيح البخاريُّ ومسلمٌ : أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ الْقَتْلُ، الْقَتْلُ، وجَلَسَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبُو مُوسَى فَتَحَدَّثَا فَقَالَ أَبُو مُوسَى قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ،

وأخرج مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لاَ يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ وَلاَ الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ، فَقِيلَ كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، وأخرج مالك في الموطإ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ أَنَّهُ قَالَ جَاءَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فِي بَنِي مُعَاوِيَةَ وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الأَنْصَارِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَسْجِدِكُمْ هَذَا؟ فَقُلْتُ لَهُ نَعَمْ وَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْهُ، فَقَالَ هَلْ تَدْرِي مَا الثَّلاَثُ الَّتِي دَعَا بِهِنَّ فِيهِ فَقُلْتُ نَعَمْ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي بِهِنَّ، فَقُلْتُ دَعَا بِأَنْ لاَ يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ وَلاَ يُهْلِكَهُمْ بِالسِّنِينَ فَأُعْطِيَهُمَا، وَدَعَا بِأَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمُنِعَهَا، قَالَ صَدَقْتَ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ فَلَنْ يَزَالَ الْهَرْجُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وفي الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ،

إخوة الإسلام، هذا هو كلام المعصوم صلى الله عليه وسلم الذي لا يَنطِق عن الهوى، فيجب علينا أن نصدّقه صلى الله عليه وسلم في كل كلمة ولفظة يقولها، فقد قال تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى [النجم]وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العبادة في زمن الهَرْج لها أجر عظيم، وثواب جزيل من الله تعالى أحكم الحاكمين؛ فقال صلى الله عليه وسلم كما في الحديث المتقدم: العبادة في الهَرْج كهجرةٍ إليَّ، فيجب علينا أن نستبصر بكلامه صلى الله عليه وسلم ونستهدي بهَدْيه صلى الله عليه وسلم لنكونَ من الفائزين في الدنيا، الناجين الرابحين الفائزين في الآخرة، والهرج كما قال أهل العلم ومنهم الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث، قال: الهرج هو الفتنة وأيام الفتن واختلاط أمور الناس، كذلك في حال القتل والحرب، وكذلك في حال الخوف والذعر، وفي حال اختلاط أمور الناس من الفوضى الاقتصادية أو الفوضى الاجتماعية، أو الفوضى في الفتوى، ففي زمن الهرج والفتن تعم الفوضى بحيث لا تنتظم الأمور، ويكون الناس في أمرٍ مريج، فالذي يجمع قلبه على ربه، في حال اختلاط أمور الناس وفي حال الخوف والذعر وفي حال الفوضى والاضطراب ، وفي حال اختلاط الأمور وفي حال اضطرابها، في حال الخفاء والجهالة من كثير من الناس لدينهم، تكون العبادة في هذا الجو في هذه البيئة في هذه الأوساط في هذه الحال (كهجرةٍ إلي)،

ومعلوم أجر الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم عظيم ، فالذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وأهليهم، والذين تركوا البلاد والأهل والمال، وتركوا الوطن لله، وخرجوا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف كان أجرهم؟، فهؤلاء الذين أتعبوا من بعدهم، فلا يصل إلى درجتهم أحد مما بعدهم ولا هجرة بعد الفتح قال تعالى: لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ...[الحديد] والهجرة بهذا الأجر العظيم ليست فقط من بلاد الكفر إلى بلد الإسلام، وإنما إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ولذلك قال (كهجرةٍ إلي)، فالعبادة في الهَرْج في فضلها وأجرها ذات ثواب عظيم، لمن ؟ لهذا الإنسان الذي عبد الله تعالى في زمن الفتن، في زمن اختلاط الأمور، في زمن ثوران الشهوات والغرائز، في زمن خفاء أمر الحلال، وخفاء كثيرٍ من الأحكام على الناس، ولكنه يعبد ربه ويعرف دينه ولذلك فهو يتمكن بالعلم الذي معه، في وقت الاضطراب والجهل والخفاء، يتمكن به من معرفة الله تعالى وعبادته، والناس في حال الفتن والاضطراب ينشغلون عن العبادة، ويشتغلون بأنفسهم، تطيش أحلامهم، وتغيب عقولهم، ويعيشون في غفلة،

قال القرطبي: إن الفتن والمشقَّة البالغة، ستقع حتى يَخِفَّ أمرُ الدين، ويَقِلَّ الاعتناء بأمره، ولا يَبْقَى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه و معاشِة نفسِه، وما يتعلق به؛ ومن ثَمَّ عَظُم قدرُ العبادة أيام الفتنة، وقال القرطبي أيضا: المتمسك في ذلك الوقت بما أمر الله، والمنقطع إليها، المنعزل عن الناس، أجرُه كأجر المهاجر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم لأنه ناسبه من حيث إن المهاجر فرَّ بدينه ممن يصده عنه للاعتصام بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، وكذا هذا المنقطع للعبادة فرَّمن الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه وتطبيق سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهو في الحقيقة قد هاجر إلى ربه، وفرَّ من جميع خلقه، والعبادات ليست هي العبادات الظاهرة فقط من الصلاة والزكاة والصيام والحج والتلاوة والذكر والتسبيح والاستغفار؛ ولكن هناك عبادات باطنة، منها: الصبر لله، وبالله، ومع الله ، وعلى أقدار الله سبحانه وتعالى، وتطبيق ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه وقت الفتن، نعم في أَوقَاتِ الفِتَنِ، تَعظُمُ الصَّوَارِفُ وَتَكثُرُ المُلهِيَاتُ، وَتَشتَدُّ غُرْبَةُ الدِّينِ وَيَعقِلُ النَّاسُ وَيَذهَلُونَ فيكون للمتمسك بدين الله كهجرة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والفائدة الأكبر للعبادة في الفتن زيادة الإيمان، ورسوخ اليقين الذي يظهر أثره على المتعبد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا[أخرجه مسلم ]والعبادة المنوه بفضلها في زمن الهرج يدخل فيها جميع أنواع العبادة: ومنها: إغاثة الملهوف عبادة، والسعي في قضاء حاجة المحتاج عبادة، وتأمين بيت لأسرة متضررة عبادة، والمحافظة على مال أخيك المسافر عبادة، والتعفف عن السؤال عبادة، وإيثار إخوتك الأكثر تضررا عبادة، والإمساك عن الشر وحده عبادة، فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

**خطبة الجمعة ليوم 04 أكتوبر 2024 م**